



ندوات ومؤتمرات

الدائرة الحضارية الإسلامية بين انتماء الفرد والمجتمع والدولة

عقدت ساقية الصاوي ندوة قدمت فيها أ.د. نادية مصطفى - مديرة مركز الدراسات الحضارية، ورئيسة قسم العلوم السياسية وأستاذة العلاقات الدولية الإسلامية بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة - طرحاً متميزاً على صعيد الدراسات الحضارية، حيث أشارت إلى ضرورة التركيز على محورين أساسيين: التعريف بدوائر الانتماء الحضاري، والاهتمام بالدوائر الحضارية المتداخلة. كما أشارت إلى أن الحضارة الإسلامية عبر التاريخ كانت تستوعب الحضارات المتداخلة معها بعد الفتوحات الإسلامية في إطار الحفاظ على الانتماء المعنوي والمصالح المتبادلة، بل إن هذا الاستيعاب كانت تدعمه القيم الروحية المستمدة من الشريعة الإسلامية الفراء والقرآن والسنة الشريفة، خاصة أن الآيات القرآنية الكريمة تشير إلى أن "أكرمكم عند الله أتقاكم" ووصايا الرسول بال التزام القيم النبيلة في حقبة الفتوحات الإسلامية المتلاحقة.

المفكرون الإسلاميون والانتماء الحضاري

ثم تحدثت د. نادية عن اهتمام العديد من المفكرين بمفاهيم الحضارة والانتماء الحضاري والعقيدة والدائرة الإسلامية الحضارية، وفقاً للاتجاهات الفكرية والأيديولوجيات الخاصة بهم، والتي تحدد مواقفهم السياسية والحركية.

إلا أنها ترى أن دراسة أزمة الانتماء للدائرة الإسلامية الحضارية قد استدعت في الوقت الحاضر مضامين مختلفة مهمة مثل الفرد والدولة والجماعة.

وتشير الاتجاهات الفكرية النخبوية وفق تعبيرها إلى أن الحضارة الإسلامية قد احتضنت عبر تاريخها الطويل الكثير من الملل والتحل والأعراق، وكانت لها القدرة والقيم والفكر التشريعي الملثم لإدارة هذا

المتداخلة ما بين العامل (جيو استراتيجي) والأمة (عقيد حضاري) والدولة (سياسي وقانوني)، وأن هذا التعدد والإخفاق الفكري المعاش والموضوعات المثارة على الأجندة الإسلامية.

كما أن ضعف الانتماء أو فك الارتباط بالدائرة الإسلامية تاريخياً كان نتاجاً للضعف الحضاري على المستوى الداخلي والتدخل الخارجي في شؤون الأمة الإسلامية، وهنا قررت د. نادية مصطفى أن الخروج من الأزمات الوطنية والقومية أو الحضارية لن يتحقق إلا بإعادة الارتباط بالدائرة الإسلامية، فكرياً وممارسة، بعيداً عن احتكار المسلمين لدائرهم الحضارية.

وأكدت أن هناك بعض المؤشرات التي تعبر عن الحالات التي انتهت بفك الارتباط بالدائرة الإسلامية على حساب الدوائر العرقية والقومية، تلك التي كانت تعد عوامل قوة وإضافة للدائرة الإسلامية، فلا يسقط من ذاكرة حضارتنا أن طارق بن زياد كان أمازيغياً.

ذاكرة الأمة الإسلامية والأقليات العرقية

وأن صلاح الدين الأيوبي كان كردياً، وتعد هذه الأقليات الآن بصدد الصراع لتحقيق الاستقلال عن تلك الدول التي تمارس التمييز ضدهم حتى في وقتنا الحاضر هي نتاج أيضاً لظلم الحاكم واستبداده، ويذكر هنا التجربة التركية وما بين تصفية الخلافة الإسلامية والصراع الصفوي، كما أننا كعرب ومسلمين لا نختلف على كون زرع إسرائيل في المنطقة ما هو إلا مشروع يعيق التكامل العربي، ويؤثر على دائرة المشروعات الإقليمية وغير الإقليمية على حساب الدائرة الإسلامية، وتنامي التنافسية غير

الاختلاف، ولم تخلط ما بين العقيدة والانتماء لتلك الحضارة، ولكن الأمر الآن اختلف على نحو كبير؛ حيث إن العديد من المفكرين والمسلمين ذاتهم يقصون من هم دون العقيدة الإسلامية خارج الأمة الحضارية الإسلامية؛ ولذلك أكدت أ.د. نادية مصطفى ضرورة التفكير الإصلاحي فيما هو حضاري وما هو عقيدي، فما هو حضاري يستدعي أبعاداً وقيماً أخرى تدور حول التفكير في إشكالية الانتماء لدى الفرد للدولة، ذاتها وللجماعة وللعالم أجمع في سياق العولمة، وهذا ما يستدعي إشكاليات العلاقة بين ما هو ديني وثقافي، وضرورة العمل على أساس المصالح والصراع حول تلك المصالح.

ويعتقد البعض أن الانتماء لدائرة الحضارة الإسلامية ينبغي أن يتبلور فقط فيما هو عقيدي، مع ضرورة إسقاط المصالح والانطلاق المبني على الرؤية الإنسانية الحضارية الدينية، لكن هذا الأمر ليس صحيحاً على الإطلاق، فالمصالح لا تخالف ما هو عقيدي بل تدعم الحفاظ على كيان الأمة الحضارية الإسلامية مع تأصيل المفهوم العقيدي.

الواقع التاريخي الإسلامي واستيعاب الآخر

كما تساءلت د. نادية عن مفهوم الانتماء، وهل يعد انتماء أفراد أم انتماء للدول الإسلامية؟ وكيف يفعل الانتماء للدائرة الإسلامية؟

حيث إن الخبرة التاريخية الإسلامية يؤكد المقولة الآتية أن الحضارة الإسلامية تحتضن دون تناقض العديد من دوائر الانتماء إليها، وتعترف بتكاملها، وتتجاوز ثنائيات الدين والدولة، أضف إلى ذلك أن الأمة والدولة والجماعة المنتمين للحضارة الإسلامية يتأثرون بالعديد من الدوائر

يشهد تاريخ الأمة الإسلامية على مواقفها المضيئة لإدارة التعددية والتعايش بين الملل والنحل والأعراق المختلفة



قضية عربية، والآن ينظر إليها العامة على أساس كونها مشكلة الفلسطينيين فقط.

تعزيز الانتماء الحضاري الإسلامي

عبر الجهود الفكرية

كما أكدت أن تعزيز الانتماء للدائرة الإسلامية لا يحتاج إلى جهود سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية فقط، بل إلى جهود فكرية أيضاً تعبر عن توجهات معتدلة تعتق فكرة أن إصلاح الأمة لا يتأتى إلا بإصلاح الفرد والمجتمع أولاً، وأن أية أمة لا تستطيع أن تحقق نجاحاً في سياق الحوار الحضاري الراهن إلا إذا حققت تطوراً في تجديد فكرها.

وأشارت إلى نقطة خطيرة يمارسها المسلمون في الوقت الراهن، وهي استدعاء مشكلات أمتهم الحضارية وخلافاتهم غير الإقليمية أمام الآخر ليحلها هو، وهذا أمر بالغ الخطورة.

وأشارت إلى ضرورة عدم التأصيل لمفهوم القلة على المستوى الواسع العام، بل يجب أن نتأمل هذا المفهوم الخطير الذي يستدرجنا إلى رفض كل ما لا ينتمي للعقيدة الإسلامية، والتي انبعثت من خلالها مفاهيم الحضارة الإسلامية، وهي الحضارة الأوسع رحابة لوجود التعددية وإداراتها وفق العدالة والإنصاف، وشددت على ضرورة حل أزمة الأمة من داخلها في إطار

الحميدة داخل دائرة الحضارة الإسلامية كالفرس والترك والعرب، وارتباطهم بمصالح تؤثر على تبلور وتحقيق مصالح الدائرة الإسلامية المختلفة. وترى د. نادية مصطفى أن هناك العديد من المؤشرات المحموده تبرز تكامل أمتنا الإسلامية واستمرار معادلات تنميتها لمجابهة التحديات الخارجية والداخلية، وتبدأ من تنمية الفرد والجماعة والدولة، وهي على التوالي:

١- اللغة العربية رغم ما يقال عن ضعفها لا تزال رباطاً بين الشعوب الإسلامية.

٢- المؤسسات التعليمية الدينية الكبرى والدولية كالأزهر الشريف.

٣- الحج ومناسكه الإسلامية.

٤- الجماعات الدينية العابرة للحدود كالحركات الدعوية والصوفية.

٥- الانتفاض الجماعي للأمة لنصرة المسلمين خاصة وقت الأزمات والحروب، وعلى مستوى الأفراد والجماعات.

٦- وجود الخطاب الديني السعودي، ويقابله الخطاب الديني الإيراني، وبعض الدول الإسلامية الأخرى التي يتميز خطابها بالصيغة الإسلامية المعتدلة.

٧- تعبير الخطابات الإسلامية الدعوية والإصلاحية الإعلامية عن كيان جماعي راهن، على الرغم من محاولات الواقع السياسي الراهن لتقليصها.

٨- نظرة القوى الكبرى نحونا ككيان جماعي وأمة إسلامية، لكنها تتعامل معنا فرادى.

وتشير د. نادية مصطفى إلى أنه في التاريخ ما يدل على وهن الأمة، فبعد أن كانت القضية الفلسطينية قضية إسلامية انحسرت لتصبح

مختلف، في مقابل خطاب الحضارة الغربية الأوروبية، وهي التي تقوم على ضرورة استئصال ما هو دون مفهوم الرجل الأبيض الأوروبي والعنصرية الغربية.

الأقلام الحضارية الغربية الحيادية

وأضافت د. نادية أن العديد من المفكرين الغربيين قد ركزوا على القيم والمفاهيم والمضامين السياسية والثقافية النبيلة التي تميز بها الجهاد لنشر الإسلام، حيث أشارت إلى كتاب "القواعد الخلقية للجهاد في الإسلام" للمفكر الفرنسي "ناشيل فرازا"، حيث تحدث عن قيم الجهاد الإسلامي، كما لم يتحدث عنها الكثيرون من قبل، وأثنى عليها كمنظومة حكمت المسلمون أثناء فترات قوة الدولة الإسلامية، وتراجعت حينما جاء المستعمر الغربي، وضعف الانتماء للحضارة الإسلامية ذاتها على أساس كونه مفهوماً حضارياً وليس عقائدياً، واختتمت د. نادية مصطفى طرحها بالتركيز على العديد من الأفكار المهمة منها أن الواقع الراهن يبرز ضرورة إعادة الاعتبار بالانتماء لهذه الحضارة الإسلامية، وأن تفعيل المصالح السياسية والعسكرية للأمة والعالم سيحقق لنا المزيد من التقدير لذواتنا؛ حيث إن العالم الإسلامي قد استهلك ثلاثة قرون اتسمت بالزخم والجدل حول الانتماء الحضاري للأمة الإسلامي.

ولم تنجح حتى الآن في حسمه؛ لذلك لا يمكن بلورة مفهوم الانتماء الحضاري عنوة، بل لا بد أن يسبقه إصلاح الفرد ذاته؛ حيث إننا بحاجة حقيقية إلى التغيير الإصلاحي كشعوب تعيش في سياق الانتماء للدائرة الإسلامية الحضارية. ■

القبول للآخر، فهناك المعاشية ما بين المسيحيين والمسلمين، ويجب استيعاب ما هو بخلاف الدين، بل التأكيد على مضمون القومية العربية، فقبول الآخر يحقق استقرار الإقليم، وعلى مستوى الجماعة والدولة، ويمكنه استبعاد ما يفضي الدوائر الحضارية المتداخلة.

الدفاع عن الأمة الإسلامية

ترى د. نادية مصطفى أن من ينتمي لهذه الأمة الإسلامية أو ينتمي إلى دائرتها الحضارية مع اختلافه حضارياً أو دينياً أو مذهبياً يمكنه أن يدافع عن سلامة الأمة وأراضيها، وهذا المثال يتبلور في دفاع حزب الله وإمامه الشيعي حسن نصر الله عن جنوب لبنان وحرب الثلاثة والثلاثين يوماً أغسطس ٢٠٠٦م، وإن خالف ذلك فتوى البعض من الدعاة، وتحفظهم على الاختلاف المذهبي، أضف إلى ذلك تأكيداً أن إدارة الخلاف بين السنة والشيعة يعد ملفاً مؤظفاً من خارج الإقليم، وأنه لا بد من تقليص هذا الأمر؛ حيث إن ترك هذه الملفات يصادر على الكثير من قيم المواطنة في صدر الإسلام والخلافة الراشدة، فلا بد من تحقيق قيم المواطنة القائمة على العدالة والإنصاف وإدارة التعددية والخلاف، وتحقيق الحقوق والواجبات، وأشارت أ.د. نادية مصطفى إلى ضرورة أن يكون لمصر ذات الكيان الإقليمي المؤثر، وأن يكون لها ملفها الخاص، وفي هذا الصدد فهناك المشروع التركي الإقليمي ومشروع إيران الإقليمي، لذلك لا بد أن تعتد مصر بموقفها الإقليمي وثقلها السياسي العربي والإسلامي والدولي في الدائرة الحضارية الإسلامية وفق رؤية اختزالية لما هو